

## ٢١ - تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

النامية السلبية من مذهب نيتشه

الانسان

للأستاذ خليل هنداوى

يقول نيتشه مبيناً نظرتة في مجموعة القيم الاجتماعية : أنا لا أدري إذا كانت الحياة بذاتها جميلة أو قبيحة . لا شيء عندي باطل إلا هذا النزاع المستمر بين التفاثلين والتشاكين . وأى انسان في الوجود يحق له أن يُقدّر قيمة الحياة ؟ أما الأحياء فلا يدرون لأنهم فريق من التجادلين المتخاصمين . والأموات — وإنهم لا جدر بالألأ يجيوا — لأنهم أموات . فلا أحد بقادر على إبداء قيمة الحياة ، وإننى لأجهل كل الجهل إذا كان وجودى خيراً أو عدى ؟ ولكنى في اللحظة التى أحيأ فيها الآن أريد بأن تكون الحياة فياضة مضيئة لامعة في نفسى وخارج نفسى . فأقول إذاذاك — نعم — لكل ما يحمّل الحياة ويجعلها جذيرة بأن نحيا . وإذا تبين لى أن الضلال والوهم يساعداننى على تذوق الحياة أقول — نعم — للضلال والأوهام . وإذا بنا لى أن الصفات السيئة مهما كانت ألوانها تساعدنى على انتصار حيوية الانسان أقول — نعم — للخطيئة والشر ، وإذا اتضح لى أن الألم هو أنجح من السرور في تهذيب النوع الانسانى أقول — نعم — للألم وأقول — لا — لكل ما يمسح حيوية الشجرة الانسانية ، وإذا اكتشفت أن الحقيقة والفضيلة والخير وكل ما يصلح البشر على احترامه من تقاليد وشرائع تضر بالحياة أقول — لا — للعلم والمعرفة والخير

- ٢ -

يبحث الآن نيتشه كيف نشأت بين الناس هذه القيم الاجتماعية ويصور التأثير الذى تركته في روح الرجل الغربى الحديث ، نقب نيتشه في أصول المذاهب الخلقية التى تواضع

عليها البشر فالقى أن أصولها المنشأمة تعود إلى فضيلتين اثنتين توزعت عنهما كل الفضائل : فضيلة الأسياد والسلالات القوية الحاكمة ، وفضيلة العبيد والضعفاء الأذلاء

وإنك لو اوجدت في منشأ الحضارة الأوروبية هذا العمل الذى ولد هذين المذهبين . فهناك طائفة محبة للقتال ، وعصابة من الرجال المفترسين الذين يسطون على طائفة جائعة للسلم ، نافرة من الحرب كما هو الأمر في الحضارة اليونانية الرومانية ، التى تلاشت إزاء هجمات الأقوام الجرمانية . إن الرجل الشديد المنتمد على نفسه ، تموج في صدره رغبته بتعيين قيم الناس والأشياء بنفسه . وليست فضيلته إلا سهجته الراقصة بشعوره بقوة وكاله . يدعو « حسناً » من كان يمانئه شرفاً وسيادة ، ويدعو « رديئاً » من يختلف عنه . الخير عنده ما هو إلا مجموعة تلك الصفات الطيبة والخلقية التى يقدرها في نفسه وفي أقرانه . يُبهج نفسه أن يكون توبياً وقديراً . يهرف أن يُخضع غيره ويُخضع نفسه . يقسو على نفسه كما يقسو على سواه . يُقدس هذه الصفات عند الآخرين ويحتقر الضعف والجبن حيث ظهرا ، يسخر من عاطفة الشفقة والنزاعة ؛ ومن كل الفضائل السائدة اليوم ، لأنه لا يراها صفات تليق بسيد . يُعجب بالقوة والقسوة والجداع ، لأن هذه الصفات تحقق له ظفراً في النضال ، يحترم اليشاق عند أمثاله الأقوياء ، ويجد نفسه في حل مع العبيد والضعفاء ، يُسكل بهم إذا أراد نكالاً ، ويسعدم إذا أراد إسعادهم . له الأمر في أمرهم . يذل روحه في سبيل قائده وأميره ، ويكرم شيخ قبيلته ، ويحترم تقاليد أهله

ألا إن الفضيلة الأرستقراطية لفضيلة قاسية متعصبة ، ولما كان الشرفاء أقلية ضئيلة في جحافل كثيرة تتمنى الإيقاع بها ، فعليهم أن يصونوا صفاتهم الخاصة التى تضمن لهم الفوز . وتقاليدهم التى اسطلحوا عليها في زواجهم وتربية أبنائهم وارتباط بعضهم ببعض هى من التقاليد العاملة على صيانة ذريتهم من الأخطار . لهذه الذرية الأرستقراطية إلهها الذى تتجسد فيه كل فضائلها التى قادتها إلى القوة وإلى هذا المظهر الذى بدت به ، إن هذا الإله هو — إرادة القوة — التى سادت الزعماء إلى السلطة ، وجعلت منهم أقوياء سعداء ، والمعبدة التى يقومون له بها هى

لتتجه إليه ثقة المتألمين ، ويكون حارسهم الأمين المسيطر عليهم ،  
والسهم الذي منه يخشون . وهي مهنة تستلزم منه أن يجرس  
الضعفاء من الأقوياء ، ويعلن المداوة بينه وبين الأسياد . عداوة  
سلاحها سلاح الضعيف : سراوغة وكذب ورياء . فيحول بنفسه  
حيواناً مقترساً مروعاً كالحيوانات المقترسة التي يجارها ، ولا  
تقف مهنته عندها خصب ، فهو مضطر إلى أن يجرس الشعب  
من نفسه ومن النوازع السيئة التي تنمى عادة في الشعوب  
المریضة ، يقاقل بحكمة وقسوة كل ما يخيل إليه فيه فوضى أو  
تفسخ أو انحلال ، يلس هذه النوازع اللثيمة ويزيدها ضراماً  
دون أن يموذ ضرر منها على القطيع وعلى راعي القطيع . قد  
تكون هذه المهنة نافعة من وجه ، لأنها تهذب بعض الفاسد ،  
وضارة من وجهه لأنها تقف عثرة في سبيل حركة التقدم الطبيعي  
ألا نجد « الرفأ » الرفأ الأمين الذي تأوى إليه هذه السفن  
الشحونة بالمرضى والمتألمين ، هو الموت . . . الموت الذي يسكن  
كل الآلام ويذهب بكل الأوجاع ؟ وهؤلاء الذين أظلمت في  
نفوسهم قوة الحياة تبقى قوة الإرادة عندهم متيقظة تمارك الفناء  
وتناضل الدم ، وهي التي شوهدت معنى الحياة عندهم ، أمست  
تقدم بقواعد للحياة جديدة ، وتحيل تعمل على تسكين آلامهم ،  
تخدعهم من حقيقة ألمهم ، فيحس الكاهن انتفاعاً بهذه الفرزة  
الطبيعية ، فيسوقها ويديرها ويشيرها حتى يجعل منها آلة سلطته  
وزعامته ، فيصبح زعيم جماعة لا تحمي من المرضى والمنحطين .  
وما هو الثمن يا ترى ؟

فيل هنري

( يتبع )

## اعلان

تقدم الطالبات لمجلس محلي السويس لعناية آخر سبتمبر  
سنة ١٩٣٥ عن وظيفة معلم لقسم الكراسى والخيزران خالية  
بمبلغاً فؤاد الأول للبنين والمناهية المقررة ٤ جنيهات شهرياً —  
وتكون الطالبات مصحوبة بالشهادات الدراسية ويتبع في  
التعيين التعليمات المالية

تفسير ابتهاجهم بالحياة على النمط الذي يفهمون منه أنهم  
جيلون أقوياء

هذه الفضيلة تختلف جد الاختلاف عن فضيلة العبيد ،  
والضعفاء الأذلاء ، وإذا كانت الكبرياء والهجة بالحياة ، هي  
الماطفة التي تموج في صدور الأسياد ، فلا عجب إذا نما في صدور  
الضعفاء التشاؤم ، ومقت الحياة ، وكره الأقوياء . الأقوياء يكيد  
بعضهم لبعض . أما الضعيف الغريب الذي يتصدى لهم فويل له ،  
لأن غريزتهم في البأس والقوة لا تشيع إلا بسحقه ، لأنهم  
يستقدون أنهم بما فعلوا أتوا عملاً جليلاً يحق لهم به أن يندوا على  
أقواء الشعراء أسماء مُرددة ، وهم — في ناظر هذا الغريب  
المغلوب على أمره — شياطين وقردة ؟ تحمل الرعب والهول  
للآمنين . إن جرأة هذه الطائفة وجنونها وقسوتها ، واحتقارها  
للأمان والحياة واغتيالها الممبق بالهديم وظفرها . كل هذه  
الصفات ينمىها أولئك المقهورون بالبربر والبربرية ، وهكذا رجل  
القوة والبأس والرجولة في مذهب فضيلة الأسياد يصبح رجل  
الثؤم والرداءة في مذهب فضيلة العبيد . والردى الشرير — في  
عرف الضعيف — هو كل من ارتدى رداء القسوة والنف  
والرعب ، والجيل عنده كل هذه الفضائل التي يحتقرها الأسياد ؛  
الفضائل التي تخفف من شدة الظلم ، وتمنع ارهاق المظلومين ،  
وترأف بالباشرين المتألمين ؛ فضائل الشفقة والرقّة والصبر والتواضع  
والاحسان فضائله . إن العظيم الذي كان محارباً غنياً قوياً في  
شريعة الأسياد ، يحول في شريعة العبيد هادئاً حلماً ، ويصبح  
جديراً بالصغار ، لأنه بالغ في توانيه عن القتال ، وبالغ في لبسه  
نوب الساكنين

— ٣ —

والآن لننظر في هذه القيم الاجتماعية التي أنشأها العبيد ،  
فإن الشريعة المسيحية وفضائلها تولدت في تلك البيئة . وعصاية  
العبيد والضعفاء والمنحطين وجدت زعيمها في الكاهن ، ومن  
هو الكاهن ؟

ينبغي للكاهن أن يكون « منحطاً » ليكنه تفهم رغائب  
شعبه المريض ، وهو بمد هذا يجب أن يصون سلطته وزعامته